الاستقلال في الأدب

للأستاذ راجي الراعي

الأدب قديم يعود إلى ذلك اليوم البعيد الذي بدأ الدماغ ينسج فيه خيوطه الأولى وله دولته ذات الهياكل والأبراج والعروش وهي أعظم الدول وأضخمها وأجلها وأبعدها مدى وأغناها.

الأدب عظيم له كلمته الفيحاء الفينانة الخلابة الشاملة أتناولها فيعرض أمامي الأدب القديم مواكبه ويأتي امراؤه الذين ضخموا وأطلنا قاماتهم خلال القرون ويتربعون في ساحتي قائلين :

نحن أرباب الأدب ودعائمه وأساطينه كتبنا الآيات الرائعات واحتللنا في قصور التاريخ أفخم القاعات وغردنا في جنان الأدب على كل غصن فيه فلم نبق غصناً لطائر وهنا حوماتنا في جميع آفاق الفن واستقطرنا النجوم نجمة نجمة فلم نترك لنيرنا أفقاً ونجمة في كأسها خمرة وحي وإلهام فما أنت كاتب بعدنا ؟ ماهذا الجنون فيك تأتي بالهواة وقد استنفدنا مدادها ونكتب المقال وترسل الآية وتؤلف الكتاب ونحن أمامك لم نبق لك جديداً ، أنسيت أن العالم قديم وأن الذين فكروا وأحسوا قبل أن ولجت جيوش طريق الاستجداء وضيع أوراق اليانصيب من مشروع القرعة إلى مشروع الحفاة من إلى مبرة محمد علي ويوم المستشفيات ، إلى آخر تلك الأشياء التي يسخر منها منظار الملايين من الموزين والجهال والمرضى والحفاة !

لو نظرنا إلى الأمور بمنظار الواقع لعرفنا كيف نسلك الطريق ... هناك مشكلة واحدة وعلاج واحد ، أما المشكلة فهي الفقر وأما العلاج فهو النهضة الصناعية . وبهذه النهضة نقضي على المشكلة الحالة ونخضع من تلقاء نفسها بقية المشكلات . أما السبيل إلى تحقيق هذا الأمل الكبير فهو أن تستغل الأموال المكدسة في المصارف كما يغسل الرجل العصامي أحد عبوده في سبيل تلك النهضة المنشودة ، وعندئذ تنتعش الثروات التي يعيش لها أغنياؤنا وينتعش المجتمع الذي يعيشون فيه !

(أ . م)

لو عرضت كلها أمام عينيك لسحقتك أعباء القلم وأعماك غبار المبافرة عما أنت فيه ، لقد عصروا رأس الأدب وقلبه ولم يدعوا لك قطرة .

نحن هنا أيها الدهي المغرور ولم تمت بعد وهذه أصواتنا الدوية في الدهور فقل ، قل أنك ترد أصداءها .

أجل ، أجل ... ان لكم ذهبكم الذي يبرق في الأدب للقديم ولكن ليس كل ما أخرجتموه للناس ذهباً فني جواره نحاس كثير ، ولكم نفائسكم ولكن ليس ما عرضتموه في المتاحف كل ما يمكن أن يعرض فيها ، وأنتم أغنياء في الأدب ولكنكم لم تحتكروا الثروة الأدبية فهناك دنانير لم تضرب في أيامكم وأسواق للأدب تعرض فيها بضاعة لم تعرفوا حريرها ... أجل ، لقد عصرتم رأس الأدب وقلبه وأسكرتم الناس ولكن خمرة الروح لم تفرغ دنانها فهي دنان الزمان الذي لا تفرغ كأسه ... أنت يا « هيجو » نسر في الخيال عظيم ولكنك لم تحتل الآفاق كلها ولم تقو على إخضاع أثير الشعر لعبقريتك فلا يحمل غير روحك ولا يطرب لغير صوتك ... وأنت يا شكسبير لست القرن كله ... وأنت يا « روسو » لست رب النثر ... وأنت يا من نظر الأعمى إلى أدبك لست وحدك الذي ينظر إلى أدبه العميان ... أنتم ورفاقكم القدماء موجات في بحر الأدب والفن والخيال التي لا ساحل له ، وفي وسعكم أن آتيكم اليوم وغداً وبعد غد وأنا أصف هذه الشمس في شروقها وغروبها بصورة جديدة لم تخطر لكم . وأن ألبس ما أراه وأسمعه ثوباً جديداً ليس فيه خيط واحد من خيوطكم .

ان الوجوه التي أراها والأصوات التي أسمعها هي غير وجوهكم وأصواتكم ، والأدب ليس وقفاً على جيل من الناس وإنما هو مرعى للانسانية لكل أديب مفكر موهوب قطيعه فيه ... أنتم في الأدب بشر ونحن الذين الهمناكم وأقمنا لكم الهياكل وجعلنا الكلمة لا صدى لها إلا إذا خرجت من أفواهكم .

نحن الذين خلقنا لكم وجوهها لم يعرفها لكم معاصروكم ، لقد أقصاكم هنا تعاقب الأجيال في لجة القدم فقام الخيال ينسج نسيجه ويلبسكم الأثواب الفضفاضة التي خاطتها الأساطير والأوهام ... أنتم أسياد في الأدب ولكننا لا نعترف بكم طغاة مستبدين .